((هل)) في شعر السياب

ظاهر محسن

كلية التربية-جامعة بابل

ان ((هل))عند النحاة ((حرف استفهام يدخل على الأسماء والأفعال لطلب التصديق الموجب))[١] ((دون التصور ودون التصديق السلبي فيمتنع نحو :((هل زيدا" ضربت)) لأن تقديم الاسم يشعر بحصول التصديق بنفس النسبة))[٢]

وذهب سيبويه الى أن ((هل)) بمعنى (قد)،فهي ليست أداة أصلية في الاستفهام ،انما الاستفهام مقدر بهمزة معها ، يقول سيبويه: ((وتقول ((أم هل)) فانما هي بمنزلة ((قد))ولكنهم تركوا ((الألف)) استغناء"، اذ كان هذا الكلام لايقع الا في الآستفهام))[٣]. وقد خالف المبرد سيبويه فقال: ((وهي للاستفهام)). نحو قولك (هل جاء زيد وتكون بمعنى (قد) لأنها تخرج عن حد الاستفهام))[٤]

وتابع ابن يعيش المبرد فقال:(والذي يؤيد أنها للاستفهام بطريق الأصالة أنه لايجوز أن تدخل عليها ((همزة الاستفهام)) اذ من المحال اجتماع حرفين بمعنى واحد))[٥]. وذهب ابن هشام خلافا لسيبويه[٦] والزمخشري[٧] الى أن ((هل)) لاتأتي بمعنى (قد) أصلا بقوله: ((وقد عكس قوم ما قاله الزمخشري فزعموا، أن هل لأتأتي بمعنى قد أصلا وهذا هو الصواب عندي))[٨]

أما هل عند السياب فقد وردت في شعره ما يزيد على (خمس وسبعين) مرةً، وقد استعملها كثيرا في مرحلته الرومانسية، اذ وردت فيها ما يزيد على (خمس واربعين) مرة" وقد وردت داخلة" على الجملة الفعلية اكثر من دخولها على الجملة الاسمية.

وسنعرضها على النحو الآتي

هل في سياق الجملة الفعلية

صحبت ((هل))الجملة الفعلية في ((خمسة وخمسين)) موضعا" وهذا ما يتفق مع مذهب النحاة الذين يرون أن الأصل في الاستفهام سياق فعلي ،وأن دخول أدوات الاستفهام على الأسماء جاء توسعا"[٩] . وقد جاءت مع الفعل المضارع اكثر من مجيئها مع الفعل الماضي.

(هل) مع الفعل المضارع

تدخل (هل) على المضارع الموجب، فتخص زمنه للاستقبال (كالسين)،و(سوف)[١٠] .ولاتدخل (هل) على الفعل المضارع مع قرينة الحال مطلقاً لأن وجود قرينة الحال يتناقض مع تخصيصها لزمن الاستقبال. وقد وردت (هل) داخلة على الفعل المضارع في شعر السياب في (خمسة وأربعين)موضعاً. وقد دل الاستفهام بها على المعاني الاتية:

١-النفي :

ويجيء الاستفهام فيه للنفي لا لطلب العلم بشيء كان مجهولاً، ويفهم النفي من سياق الكلام . وقد ورد هذا المعنى في (عشرة)مواضع

نحو: وهل يتذكر طفل ملامح أمواته[١١]

وقد بعثرتها صروف الليالي

ونحو :هل تستحق اسما كهذا : ياسمين وياسمين ؟[١٢]

دل الاستفهام في هذين البيتين على معنى النفي وقد دل سياق الكلام على ذلك.

فـــ (ياسمين) امرأة لعوب ،حسدت سليمة(المومس العمياء) فدست لها مع الطلاء عقاراً أزالت بـــه جمالهـــا وكان سبباً في عماها، فأراد الشاعر أن يقول: انها لاتستحق اسماً كهذا (ياسمين)لأن معنى ياسمين لايوافق هذه اللعوب الغادرة ،فدل الاستفهام على النفي .

٢- التمني: هو (طلب حصول الشيء،سواء أ كان ممكناً أم ممتنعا.[١٣]" وقد اشـــترط البلاغيـــون أن يكـــون الشيء المطلوب محبوبا• يقول التفتزاني: ((التمني هو طلب الحصول على شيءعلى سبيل المحبة))[١٤].

وقد ورد معنى التمني باستعمال (هل) مع المضارع عند السياب في بضعة مواضع.

نحو :هل يعود الهوى من جديد ؟[١٥]

ونحو: يانهر عاد اليك من أبد اللحود ومن خواء الهالكين[١٦]

راعيك في الزمن البعيد ،يسرح البصر الحزين :

دنياه كانت أمس فيك فهل تعود الى الحياة ؟

في هذا المقطع يتمنى الشاعر لو أن النهر يعود بعد أن انطمر فيعود بذلك هواه وايام صباه.

٣-الانكار التوبيخي :ورد هذا المعنى لـــ (هل)قليلاًعند السياب

نحو : هل تصيرين للآجنبي الدخيل ؟[١٧]

للذي لاتكادين أن تعرفيه:؟

ياابنة الريف ،لم تنصفيه !

الشاعر يسأل (نوار)وهي ماتزال عروساً في قصر زوجها الغني الغريب : هل تصيرين للآجنبي ... فالشاعر لم يسأل عن شيءلايعرفه، وانما أراد أن يوبخها لأنها تركت شباب قريتها الذين أحبوها ، وتزوجت رجلاً غريباً لاتعرف عنه شيئاً سوى أنه غني.

٤- التنبيه :

نحو: هل تبصرين الكوكب المنثال في الظلماء نورا [١٨]

بين اعتناق الغيمتين يبدد العمر القصيرا

هل تبصرين فأنت ذاك النجم تلقين المصيرا

لايخفى علينا النفس الثوري في هذا المقطع، فالشاعر لم يقصد السؤال عن رؤيـــة (حســـناء الكـــوخ) للكوكب، بل التنبيه على أن مصيرها سيكون مصير هذا الكوكب ،وقد جعل الشاعر من (حسناء الكوخ) التي خاطبها رمزاً للشعوب المضطهدة .

٥- التعظيم: ويقصد الاستفهام فيه تعظيم صورة المستفهم عنه وليس القصد منه طلب معرفـــة شـــيء غيـــر معروف عند المستفهم .

نحو: هل تسمين الذي ألقى هياما[١٩]

أم جنونا بالاماني؟أم غراما؟

فالشاعر أراد أن يعظم ما يلقاه بسبب الحب والغرام

هل مع الفعل الماضي

وردت (هل) داخلة على الفعل الماضي في عشرة مواضع ودل فيها الاستفهام على المعاني الاتية

١- التخزن والتوجع :

نحو :وهل بكيت أن تضعضع البناء[٢٠]

وأقفر الفناء أم بكيت ساكنيه

أم أنني رأيت في خرابك الفناء

٢- التعجب :

ونحو : هل ضاقت مثلي ،بالزمن[٢١]

تقويما"خط على كفن

ذرات غبار!

٣-التذكر :

ونحو : والفارس الثائر المغوار هل بقيت

من خيله الصافنات البلق آثار[٢٢]

في هذه الآبيات المذكورة آنفاً دل الاستفهام على معان بلاغية خرجت عن الاستفهام الحقيقي وهو طلب العلم بشيء غير معلوم.

ففي المقطع الآول أراد الشاعر أن يظهر حزنه وتوجعه على مصير تلك الدار التي سكنها أيام طفولته ،زيادة على مصير أهلها الذين هم جده وعمومته.

وفي المقطع الثاني دل الاستفهام على معنى التعجب ،فالشاعر يتعجب من أن الموتى يضيقون بالزمن كما تضيف به الاحياء، وفي البيت الأخير دل الاستفهام على التذكر،فالشاعر أراد أن يذكر أبناء شعبه بأمجاد أجداده.

(هل) في سياق الجملة الاسمية

أجاز النحويون دخول (هل)على الجملة الاسمية توسعا" في الاستعمال بشرط أن لايكون خبرها فعلا[٢٣].

ويرى أبو حيان أن (هل) اذا دخلت على الجملة الاسمية لايجوز تأويلها بـ(قد)، لان(قد) من خواص الأفعال.

وقد وردت(هل) داخلة على الجملة الاسمية في (عشرين) موضعا، وبحسب الانماط الآتية :

النمط الآول : (هل+المبتدأ+الخبر (مفرد)..)

ورد هذا النمط بضع مرات عند السياب .

نحو :اصغ هل أنت سامع من أنين خافت الجرس دائب في بكاء [٢٥]

فوردت (هل)داخلة على المبتدأ (أنت)وهو ضمير منفصل ثم الخبر (سامع) وهو اسم فاعل . ودل الاستفهام على معنى التحزن والتوجع .

النمط الثاني : (هل+الخبر (جار ومجرور)+المبتدأ)

ورد هذا النمط في موضعين احدهما

قوله:رب هل لي الى منزلي من رجوع [٢٦]؟

فوردت (هل) داخلة على الخبر (لي) ثم جار ومجرور أخر متعلق بالمبتدأ المؤخر (رجوع)، وقد افاد حرف الجر الزائد (من)التوكيد،وجاء المبتدأ (رجوع) مجرورا لفظا مرفوعا محلا[٢٧] . ودل الاستفهام على معنى التمني أو الدعاء .

والآخر قوله : فؤادي وهل في ضلوعي فؤاد

لقد كدت أنساه لولا الصدى[٢٨]

فوردت (هل) داخلة على الخبر المقدم (في ضلوعي) ثم المبتدأ (فؤاد) ،ودل الاستفهام على معنى النفي .

النمط الثالث : (هل + المبتدأ (نكرة)+الخبر (جملة فعلية)

جاء هذا النمط في موضعين احدهما هو

قوله : وهيهات أن ترجعي من سفار[٢٩]

وهل ميت من سفار يعود ؟

فوردت (هل) داخلة على المبتدأ (ميت) ثم (الجار والمجرور)المتعلق بالخبر (يعود) . ودل الاستفهام على معنى النفي .

والأخر قوله:وما الذي جد في الدنيا ، وهل وطن

منها ارتخى عنه ظل المستبيحينا[٣٠]

فوردت (هل) داخلة على المبتدأ (وطن) ثم الجار والمجرور (منها) المتعلق بالخبر (ارتخى). وقد دل الاستفهام على معنى النفي. ففي هذين الموضعين دخلت (هل) على اسم جاء بعده فعل، لضرورة الشعر . ذكر المراد:((أن الهمزة قد يليها اسم بعده فعل في الاختيار نحو: أزيد قام ؟... بخلاف (هل) فانها لايتقدم الاسم بعدها على الفعل الا في الشعر))[٣١]. لأن تقديم الاسم يشعر بحصول التصديق بنفس النسبة[٣٢] لذلك منعه النحاة[٣٣].

النمط الرابع : (هل +كان+اسمها+خبرها)

ورد هذا النمط في ثلاثة مواضع من شعر السياب

نحو :وهل كان حلم بغير انتهاء

وهل كان لحن بلا آخر[٣٤]

وردت(هل) مرتين في هذا البيت داخلة على (كان) ثم اسمها (حلم)، و(لحن) ثم خبرها الجار والمجرور (بغير انتهاء) و(بلا آخر)، وقد دل الاستفهام على معنى النفي .

النمط الخامس: (هل+خبرها (مقدم)+اسمها (مصدر مؤول).)

ورد هذا النمط في موضع واحد في شعر السياب

هو قوله: هل كان عدلا أن أحن الى السراب ، ولا أنال[٣٥]

الا الحنين –والف انثى تحت أقدامي تنام

فوردت (هل) داخلة على (كان)ثم خبرها المقدم (عدلا) على اسمها المصدر المؤول من أن والفعل (أن أحن). ودل الاستفهام على الانكار الذي أفاد معنى النفي .

وفي ختام هذا البحث رأينا أن السياب قد استعمل (هل) في شعره على النحو الآتي :

١- استعمل (هل)في مرحلته الرومانسية اكثر من استعماله لها في مرحلتيه (الثانية) و(الثالثة) وسبب ذلك يعود الى أن السياب كان يستعمل(هل) لمعان مجازية كالتمني، والتحسر والتوجع والانكار، وهذه المعاني تكثر عند الرومانسيين لانها توافق مذهبهم الذي يستند الى الخيال كثيراً.

٢-اظهر البحث أن السياب لم يستعمل (هل) بمعناها الحقيقي قط، وهو طلب معرفة شيء مجهول . وانما جاءت لمعان مجازية خرجت عن المعنى الحقيقي للاستفهام.

٣- جاءت هل مع الجملة الفعلية اكثر من مجيئها مع الجملة الاسمية: اذ وردت معها ما يزيد على (خمس وخمسين) مرة"وهذا يتفق مع مذهب النحاة الذين يرون أن الاستفهام سياق فعلي – وأن دخول أدوات الاستفهام على الاسماء جاء توسعا".

٤-جاء استعمال السياب لـ(هل) موافقا لقواعد النحاة ما عدا موضعين دخلت فيهما على اسم بعده فعل نحو:

وهل ميت من سفار يعود

ونحو:وما الذي جد في الدنيا ، وهل وطن

منها ارتخى عنه ظل المستبحينا

الهوامش

١- الجنى الداني :٣٣٩

٢- مغنى اللبيب: ٣٤٩/٢

٣- الكتاب :١٠٠/١

٤- المقتضب :٤٠٣/١

٥- شرح المفصل :١٥٣/٨

٦- ينظر الكتاب :١٠٠/١

٧- ينظر: شرح المفصل :١٥٣/٨

٨- مغنى اللبيب:٣٥٢/٢

٩- ينظر :رصف المباني :٤٠٦ ،والجنى الداني :٣٤٠

١٠-ينظر :مغنى اللبيب:٣٥٠/٢ ،معاني النحو :٦١٦/٤

١١-الديوان :٦٩٦/١

١٢-نفسه:٥٢٢/١،وينظر هذا المعنى أيظا في ١٥،١٩،١٣/١ وينظر :٤٣٢/٢،٣٧٨،٣١٧،٢٩٣

١٣-ينظر : التعريفات: ٦٩،وشرح المفصل :٨٦/٢،والاتقان :٨٢/٢

١٤-مختصر سعد الدين التفتزاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ٢٣٩/٢

١٥-الديوان :٦٦/١

١٦-نفسه :١٠٧/١

١٧-نفسه :٣٤٦/١

١٨-نفسه:٥٢٢/٢

١٩-نفسه :١٠١/٢

٢٠-نفسه:١٤٤/١

٢١-نفسه:٧٤/١

٢٢-نفسه:٥٣٩/٢

٢٣-ينظر :الكتاب :٩٩/١،و١٥٥/٣ ،والجنى الداني :٣٤٠

٢٤-ينظر : البحر المحيط : ٣٩٣/٨

٢٥-الديوان : ٤٥٨/٢،وينظر هذا النمط في:٣١٧/٢

٢٦-نفسه :٢٦١/١

٢٧-ينظر :مغنى اللبيب :٣٢٢/١-٣٢٣

٢٨-الديوان :٣٠١/٢

٢٩-نفسه :١٢٤/١

٣٠-نفسه:٣٩٨/٢

٣١-الجنى الداني :٣٤٠

٣٢-مغنى اللبيب :٣٤٩

٣٣-ينظر : الكتاب :٩٩/١،والجنى الداني :٣٤٠

٣٤-الديوان :٥٦/١

٣٥-نفسه:١

المصادر

١-الاتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي (ت-٩١١ه)،تح:د٠محمد أبو الفضل ابراهيم ،الهيأة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة /١٩٧٤م

٢-البحر المحيط ،أبو حيان النحوي ، ط،مصر /١٣٢٨ه

٣- التعريفات ،أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني ،دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد (د٠ت)

٤- الجنى الداني في حروف المعاني ،حسن بن قاسم المرادي (ت-٧٤٩)تح :طه محسن ،دار الكتب للطباعة والنشر ،جامعة الموصل /١٣٩٦ه-١٩٧٦

٥- ديوان بدر شاكر السياب (المجموعة الكاملة) المجلد الاول ،دار العودة ،بيروت /١٩٧١م،المجلد الثاني، دار العودة -بيروت /١٩٧٤

٦- رصف المباني في شرح حروف المعاني ،أحمد بن عبد النور المالقي (ت-٧١٣هـ) تح:احمد محمد الخراط ،مطبعة زيد بن ثابت -دمشق /١٩٧٥م

٧- شرح المفصل ،ابن يعيش النحوي (ت-٦٤٣هـ)،عالم الكتب -بيروت ،مكتبة المتنبي -القاهرة (د.ت)

٨- الكتاب ،سيبويه(ت-١٨٠هـ) ، تح عبد السلام محمد هارون، الهيأة المصرية العامة للكتاب – القاهرة

٩- مختصر المعاني ،سعد الدين التفتزاني (ت-٧٩١هـ)، طهران (د٠ت)

١٠-معاني النحو ،د.فاضل السامرائي ،جامعة بغداد ،بيت الحكمة/١٩٩١م

١١-مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الانصاري (ت-٧٦١)، تح:محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني المصرية، (د.ت).

١٢-المقتضب ،المبرد (ت-٢٨٦ هـ)، تح :محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ، بيروت(د.ت).